الكلمات

كثيراً ما أُضفيت على بيتر درَكَر Peter Drucker ألقاب الصحفي والروائي والعالم الاقتصادي والعالم الاجتماعي والسياسي النظري والفيلسوف والناقد الفني، فهو البارز في كلٍّ من هذه الوظائف المهنية، على أنه الأكثر شهرة بلقب أبي الإدارة الحديثة.

ومنذ أن نشر درَكَر الإدارة الحديثة بين الناس بعد الحرب العالمية الثانية، راحت كتب كثيرة تتناول هذا الموضوع، إلا أن الكثير منها طواها النسيان لأن غالبيتها العظمى ركَّزت على البِدَع ووسائل التحايل والحلول الناجعة لكل مشكلة. ومع ذلك وعلى الرغم من التغييرات التي تفجرت في المجتمع إبّان مسيرة درَكَر الطويلة فإن مفاهيمه ومبادئه عن الإدارة حافظت على رونقها وفائدتها. والشواهد على استمرار أهميته وشعبيته هي المطبوعات المتكررة لمؤلفاته الرئيسة غير الإدارية من قِبل دار النشر ترانسأكشن بَبْليشرز Transaction Publishers في جامعة رُتجَرْز Rutgers University وطباعة مجلد من مقالاته المختارة تحت عنوان بيتر درَكَر في مهنة الإدارة Peter Drucker on the Profession of Management الذي أنجزته مطبعة جامعة هارفرد Harvard University Press عام 1998، وما زالت هذه المطبعة عازمة على استبقاء مؤلفاته الرئيسة في الإدارة قيد الطبع مدة سبعة عشر عاماً بعد وفاته.

ومن السخرية أن انطلاقة دَرَكَر لم تكن بهدف خلق الإدارة الحديثة ولم يكن اهتمامه منصباً في مجال العمل، إذ تمحور جل اهتمامه عند مباشرة دراساته في ثلاثينيات القرن العشرين حول مساهمات المؤسسات في المجتمع وتبريراتها. وعندما غاص في أسباب فشل الاستجابات الإستبدادية وعدم فعالية الرأسمالية التقليدية افترض أن أكثر الآمال إشراقاً للمستقبل تكمن في الشركة الحديثة بهيأتها العاملة من المدراء المحترفين الذين يتقاضون أجورهم ويشكلون إكسير التغيير، ووجد أن نفس الدرجة من الأهمية تحظى بها هذه الشركة الحديثة كمؤسسة منفتحة على البحث العلمي عن نواحي الأداء والشرعية.

لقد حاولتُ في هذه الدراسة أن أبين في المقام الأول كيف أن الملامح الأولية لفكر دَرَكَر السياسي الذي تكشَّف عن كتاباته كوَّنت فكره الإداري، ومن ثم أردت أن أبيّن أن مضمون هدفه الرئيس لصياغة عقليةٍ إدارية كان الظهور المتناغم لمبدإ الإدارة الحديثة. ووفق هذه السُّنة الفكرية فقد ركَّزتُ على مواضيع ثلاث: (1) الانتقال من تخصصات شركة الأعمال الوظيفية ذات النمط التقليدي إلى معالجة نظرية تدمج بين أهداف بقاء الشركات وبين التخصص العضوي، وَ(2) مفهوم التجديد في التغيير المنظَّم لإدارة الشركة وهي مهمة قدم دَرَكَر لها سياسات استراتيجية منظَّمة ومبادئ تنطوي على المغامرة التجارية وَ(3) الاقتراح القائل إن أنشطة الإدارة هي شكل من أشكال العمل المنظَّم الذي يمكن للمرء على وجه التحديد أن يتعلمه (إن لم يكن من الممكن أن يُعلِّمه) ويُدخِل عليه التحسينات باعتباره طريقة للوصول إلى مزيد من الإنتاجية والنتائج.

المعنيون بهذا الكتاب

أدركُ أن الكتاب يخاطب ثلاث مجموعات ويقدم لها فوائد ويوفر لها صلة بالموضوع، فهو يقدم ثلَّة من المبادئ والتقنيات من أجل تحسين الأداء

لأولى هذه المجموعات المؤلفة من المدراء التنفيذيين لشركات الأعمال والمنظمات الاجتماعية الأخرى الذين يشعرون بمسؤوليتهم. والمجموعة الثانية هم الأكاديميون الذين يوفر لهم أداة تعليمية من أجل فهم جذور نظرية الإدارة ومنطلقات الفعالية التنفيذية. وهو يقدم للمجموعة الثالثة المؤلفة من كبار المدراء المسؤولين بصورة مباشرة عن التخطيط الاستراتيجي مرجعية لمواجهة تحديات الغد في جوٍّ تنافسي من التغيير المتسارع.

نظرة في المحتويات

بعد خلاصة المواضيع الثلاثة، وضعتُ لهذا الكتاب هيكلية تتألف من ثلاثة أقسام، في أولها تتناول الفصول من الثالث إلى السادس البحث عن النظرية في السنين الأولى عند درَكَر، وتغطي تأثيرات سنوات التكوين وكيف أن كتاباته الأولى تصوّر مفاهيم منهجياته وتشكل تصميم فلسفته في الإدارة. وأنهيتُ هذا القسم بعد مناقشة تاريخية لكتبه الأولى بتفحص كتابه ممارسة الإدارة The Practice of Management (1954) الذي ترسخ من خلاله إطار نظريته في الإدارة ووضع خطوطاً عريضة للممارسين. أما القسم الثاني الذي يضم الفصل السابع وحتى الحادي عشر فيتناول نظرات درَكَر في الاستراتيجية والمغامرة التجارية ويركز على ماوصفه بالمهمتين المركزيتين للعمليات الإدارية: (1) «جعل العمل منتجاً والعامِل منجزاً» و(2) «تحريك رأس المال من النواحي الإنتاجية الخاسرة إلى الرابحة». والقسم الثالث من الفصل الثاني عشر إلى السابع عشر يناقش فعالية المدراء التنفيذيين من منظور متعدد الأطراف.

شاركتُ عام سبعين وتسعمائة وألف بتأليف كتاب بيتر درَكَر: مساهمات في منشأة العمل Peter Drucker: Contributions to Business Enterprise الذي يشتمل على مقالات كتبها ثلاث وعشرون من الأكاديميين العلماء والمدراء التنفيذيين لشركات أعمال شهيرة وتناولتْ مواضيع هامة متنوعة من مؤلفات

درَكَر. فكرتُ في البداية بتحديث ذلك المشروع باستخدام العنوان: زيارة درَكَر من جديد Drucker Revisited ولكني غيرتُ رأيي بعدئذ وقررتُ أن أتصدى للتحدي بنفسي واضعاً أمامي هدف تقديم المزيد من الترابط والتماسك في موضوع تأثير درَكَر على الإدارة الحديثة وتكوين النظرات الإدارية. وهذا يعني أيضاً وضع خطة لكتابة فصول مستقلة عن مواضيع أخرى ذات أهمية كبيرة عند درَكَر مثل التعليم والاقتصاد واليابان والقطاع غير الباحث عن المكاسب وهيمنة الشركة والإدارة المقارنة (رغم أنني ناقشت هذه المواضيع من خلال علاقتها بنظرات درَكَر الإدارية). إلا أن المصادفة جعلت جاك بيتي Jack Beatty، المحرر الرئيس في مجلة أتلانتيك مَنثلي Atlantic Monthly ينشر مؤخراً دراسة هامة حول أفكار درَكَر السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحت عنوان العالم كما يراه بيتر درَكَر The World According to Peter Drucker (1998).

الإقرار بالفضل

لا يظهر كتاب من فراغ، وهذا الكتاب يدين بالفضل لأناس كثيرين، أولاً لزوجتي كريستين Christine وصديقَيَّ القديمين ريتشارد ماتيوز Richard Matthews وتوماس ب. روبينسون Thomas P. Robinson على تشجيع هذا المشروع وإغنائه باقتراحاتهما التي كانت عوناً لي، وثانياً للعاملين في كلية لوبين لإدارة الأعمال في جامعة بيس Pace University Lubin School of Business وَالعميد آرثر سينتونز Arthur Centonze وَالعميد المعاون بيتر هوفر Peter Hoefer وَجون دوري John Dory مدير برنامج شهادة الدكتوراه على ما قدموه لي من دعم ومساعدة إدارية، وَإلى ديانا وورد Diana Ward مديرة الأبحاث التطبيقية المساعدة على تكليف ثلاثة خريجين بالتدقيق في المصادر، وَإلى هؤلاء الخريجين أنفسهم: ميندي إيرلتشمان Mindy Erlichman وَ لي وانج Lei Wang وَفيكتوريا هوتينروت Victoria Hottenrott على

مساعدتهم، وثالثاً لمارغريت جاك Margaret Jacques على صبرها اللامتناهي أثناء حل ألغاز كتابتي المشوَّشة وطبع مسوَّدة الكتاب. وأخيراً إلى صديقي وناصحي الأمين بيتر درَكَر الذي كانت مواهبه الرائدة الفذَّة وقدراته التحليلية جوهر هذا الكتاب ومصدر إلهامه. وعلى الرغم من أني كنت المنظم والمفسِّر لمواد الكتاب إلا أنني حاولت جاهداً أن أقدم عصارة مفاهيمه وأفكاره على الشكل الذي أعتقد أنه صورها عليه. وبالطبع فإن التنازل عن الحق هو في الترتيب، وأنا أتحمل كامل المسؤولية عن أية أخطاء في التفسير.

كوفينت ستيشن - نيوجيرسي
تموز 1999

جون إي فلاهرتي